إطلالة

قواميس غذائية
ثمار للألسنة والأقلام

تحتاج ثقافتنا إلى قواميس وافية، يشترك في إعدادها الأطباء وخبراء التغذية والنقاد وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، قواميس تضعُ أمامَ كلّ كلمة: منافعها وأضرارها

سعد سرحان

بعد كلّ هذه الحياة الضّاخبة والسّعي الدّؤوب في الأسواق والحقول والبيوت والمعابد والكتب... لا تحتاج الكلمات الآن فقط إلى تَخْيير عاجل لكلّ المعاجم القديمة، وإنّما أيضاً إلى إحداث أخرى لا تُعنى بالاشتقاقات والمرادفات والأضداد وسوى ذلك ممّا هو لغويّ بَحْت، بل تهتمّ أساساً بالقيمة الغذائية. أجل، القيمة الغذائية للكلمات بوصفها ثماراً للألسنة والأقلام.

لكلّ كلمة طعمٌ:
فواحدةٌ من حليبٍ
وأخرى من عسلٍ
وثالثة من لحمٍ ودمٍ
ورابعة لم يُعرف لها بعدُ ترياق.

...

لكلّ كلمةٍ طعمٌ
وحَسْبُها ذلك أصرةً بالطّعام.

...

فمثل الطّعام تماماً:
هنالك كلماتٌ بائِتَة
وهنالك كلماتٌ واقِيَة
وهنالك كلماتٌ طاقِيَة
وهنالك كلماتٌ غنيّةٌ بالألياف.

...

ولهذا تحديداً، يجب سنُّ قواميس وافية، يشترك في إعدادها الأطباء وخبراء التغذية والنقاد وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، قواميس تضعُ أمامَ كلّ كلمة: منافعها وأضرارها، تركيبتها الغذائيّة ورصيدها من السّعرات الحراريّة، دواعي الاستعمال والإعراض الجانبيّة، وما إلى ذلك ممّا يُعرب عنها إعراباً تامّاً.

ولا بأس من إغنائها بهوامش وملاحق لكلّ غاية مفيدة، نعرف منها الجذر النّباتيّ لهذه المفردة والصّلب الحيوانيّ لتلك، وأيّ الكلمات عسيرُ الهضم وأيّها ثقيلُ الدّم، وكيف نفرّق في معرضها بين التّوابل والأعشاب والمُنكّهات...

من شأن هذه القواميس، إنْ أُحدِثَتْ، أنْ تُحدِث ثورةً في مملكة الكلمات، يتوارى على إثرها الحرسُ القديم للخطاب فاسحاً المجال لظهور عهد جديد، يحُلُّ فيه التّداول محلّ التّداول ويُسفر فيه التّحليل عمّا يُدهش التّخييل.

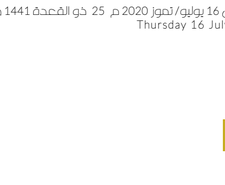

صناعة متى تستعاد؟

يعرف انتاج القواميس حيوية لافتة في العقود الاخيرة عالميا، حيث لم يعد انتاج معجم يعني تفسير كلمات لغة او مجال معينه او مقابلة مفردات لسان باخر، فقد انتشرت اشكال جديدة من المعاجم تتناول ظواهر ثقافية واجتماعية، او تتناول شخصيات فكرية او ادبية، وغير ذلك، بل نجد معاجم طريفة مثل كتابة سيرة ذاتية في شكل معجم. هل يستقيم ان تخفف عن ذلك اللغة الاكثر عراقة في العالم على صعيد صناعة القواميس؟

لوحة لـ فخر النساء رعد، الون زيتية على قماش

وسوف يكون لذلك بالغ التّأثير على القراءة عموماً وعلى النقد خصوصاً، فباعتماد القواميس تلك، سيصبح النقد شعبةً من شُعب الطّب أو علوم الحياة والأرض، وتحت ضوئها سنرى بوضوح أنّ هذا النّص عاشبيّ وهذه القصيدة لاحمةٌ وذاك الكتاب قارت، أمّا المؤلّف، حتى لو كان قد شبع موتاً، فإنّ نظرة سريعة منها على معجمه الأثير كفيلةٌ ببعثه حيّاً يسعى عارياً حتّى من الكفن الّذي أورثته الكلمات. ولعلّ لتطبيقات هذه القواميس، بأثر رجعي، على أدبنا القديم، وعلى ديوان العرب تحديداً، أن تكشف لنا زُحافات لم تكن في الحسبان وعِللاً لم تخطر لتشخيص.

أمّا الزّحافات فقد كانت في الشّعراء أكثر ممّا كانت في الشّعر. فحتى لو استطعنا الآن أن نحصي جميع أولئك الذين كانوا يزحفون، لأجل بطونهم، عشرات الفراسخ والفدافد إلى تلك الموائد الباذخة التي كانت تقايض بالطعام الكلام، فإنّنا سنعجز، لامحالة، عن إحصاء نسلهم بين ظُهْرانَيْنا.

وأمّا العِلل، وحتى نقتصر على ما هو عضويّ فقط، فنستبعد العنصرية وجنون العظمة وسواهما ممّا يعتري النّفوس، فإنّ فحصاً سريعاً سيجعلنا نقف منها على السّكريّ والقُرحة والنِّقرس وضغط الدم على سبيل الحصر، وذلك بسبب ارتفاع نسبة السكّر في معظم الغزل، ونسبة الفُلفل في جُلّ الهجاء، ونسبة الدهون في كلّ المدح، ونسبة الملح في دموع الرثاء. وقد لا ننتظر طويلاً قبل أن تُشهد مناقشة أول أطروحة جامعية

> لكلّ كلمة طعمٌ؛ فتكون من حليب أو من عسل أو من لحم ودم
>
> الصمت هو أقدم مواد التجميل، وبه كان ينصح دائما

حول شعرنا القديم في كلية الطّب وليس في كليّة الآداب.

...

لكلّ كلمةٌ طَعمٌ، وجُلّ الوشائج بين الكلام والطعام ساحتها الجسد.

فالجسد الذي يستلذّ هذا الطّعم ويَعاف ذاك، هو نفسه الذي يُسرّ بهذه الكلمة ويغضب لتلك. وكما يقرّ ما يقرّ لأجل الطعام، فإنّه يفعل أيضاً جرّاءَ الكلام. وإذا كان معظمنا يعرف من الطّعام ما يسيل لعاب اللّعاب، فأغلبنا لا يجهل من الكلام ما تزهق لسماعه الرّوح.

لهذا، ولكثير غيره، ستكون هذه القواميس عظيمة الجدوى في جميع المجالات.

ففي الأدب، من اليُسر الوقوف في شُرفة الرومانسية للاستمتاع بالمناظر الخلّابة لتلك النصوص العاشبة، كما من اليُسر أيضاً ملاحظةُ كم هو قارّ كتاب «كليلة ودمنة»، أمّا بالنسبة للأجم، فلا أوضح ولا أشرس من بيت المتنبي:

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيّده الضرغام فيما تصيّدا

وغير بعيد عن الأدب، لا بدّ من الإشارة والإشادة بالأمثال والحِكم والنّصائح والحكايات الشعبية... لِبرائحه الفاحش بالكلمات البائِنة والكلمات الواقِية. وإذا كانت بعض الأطعمة والأعشاب توصف لشفاء هذا المرض أو تلك العلّة، فإنّ عبارات المجاملة والتشجيع والتقدير والتمنين والتنويه تدخل لامحالة في باب التّداوي بالإعجاب.

وعند الشّرطة العلميّة والطّب الشرعي، سيكون لهذه القواميس الكلمةُ الفصلُ في تحديد أي كلام زُعاف قد يكون تلقّاه القتيل في سويداء كرامته. وفي عيادات التجميل، سيكون الصّمت أساس كلّ حمية، ذلك أنّ السُّمنة ابنة الثّخمة، وهذه وتلك من ثرثرة الطعام. فالصمت هو أقدم مواد التجميل، وبه كان ينصح دائما: تجمّل بالصّمت.

أمّا في الملاعب والحلبات، فالشعارات وعبارات التشجيع غنيّة بالكلمات الطّاقة، فتنحدر من مسامع المتنافسين إلى عضلاتهم لتفعل فيها ما يعجز عنه كل غذاء.

...

قد تبدو من باب الهزل الدّعوة لإحداث هكذا قواميس، لكنّ تلبيتها، مهما تأخرت، ستكون بقيناً من صميم الجِدّ.

(شاعر وكاتب من المغرب)

تحرير

اللاجئ

باسم النبريص

دفعة واحدة تنفجر محمولات اللاجئ: يكون السيل قد فاض، وأحياناً لأهوَن سبب.

إنها سيكولوجيا التراكمات المكبوتة: طبقات من الذل تكوّنت عبر ما رآه وأحسّه، منذ الخروج من بلده، مروراً بعدة بلدان، حتى وصوله هنا ودخوله في نظام المخيّم. ثمة عنف بدني يومياً بين اللاجئين أنفسهم، خاصة بين الأفغان، الذين يتصرّفون بفطرة من أتوا من الجبال، وكانوا معزولين عن الدنيا، فرأوا تعقيداتها وحداثتها الصادمة لأول مرة.

قصص وحكايات، وطوش يولدها عاملا الكبت والانتظار، فكل لاجئ معلّق كالذبيحة من عرقوبه، وما من أمان تجاه المستقبل، فإمكانية رفض ملف اللجوء واردة، بل هي الاحتمال الغالب في هذا العالم للاجئين من فلسطين وأفغانستان، أكثر من غيرهم.

يعانون من التضييق عليهم في تقديم الخدمات، من الرفض، من الطرد، من الترحيل، ويرون مصائر زملاء لهم فُعِل بهم ذلك، دون رحمة، ودون تقدير للظروف من مرض وعائلة إلخ، ولا يستطيعون الانفجار في وجوه مسؤوليهم، فيفعلونها في وجوه زملائهم وبين بعضهم البعض.

أما المسؤولون، فلامبالون، حتى لو نزل الدم.

لقد تعوّدوا على ذلك، ويعالجون ما يحدث بنقل أحد الطرفين إلى مخيّم آخر، وهكذا تنتهي القصة.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا مؤقتاً)

وقفة مع

دليلة مفتاحي

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

يونس ـ العربي الجديد

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

الوضع العام في تونس بضبابيّته السياسية. نحن في الدرجة صفر من وضوح الأفق. ناهيك بعد كورونا. أخشى أن تكون من تبعات ذلك فاتورة باهظة تدفعها الأجيال الجديدة، وصراحةً من لم يتعلم من دروس كورونا لن يتعلم أبداً. أما على المستوى الشخصي، فحاولتُ قدر الإمكان الاستفادة من فترة الحجر، ولو أني أشعر بأنها كانت مثل فترة قطع الأوكسجين، يبدو العالم وكأنه قد توقف وأمرك بانتظار الموت. غير أن هذا المزيج من مشاعر الخوف من المجهول ومراجعة الذات كان دافعاً للإبداع أيضاً.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

في المسرح، لديّ ثلاثة أعمال لا تزال تُعرض هي: «نَفَس» و«قمرة 14» و«عروسة البازار». العمل القادم سيكون بعنوان «قلب الرحى» وإطار حكايتها فرقة موسيقية للنساء تشتغل في الأعراس. تتناول المسرحية مسألة الصراع بين أذواق موسيقية متعدّدة؛ ذات مرجعيات شعبية وأكاديمية وتجارية وغيرها، وهو عمل يعزّي العلاقة بين المشتغلات في الموسيقى والمجتمع، وأيضاً إشكاليات التموقع الفنّي ومنها مسألة «بطاقة الاحتراف» التي تشغل الكثير من الفنانين في تونس. تكون هذه المسرحية جاهزة للعرض في نهاية نوفمبر/ تشرين الثاني من هذا العام. درامياً، كان آخر حضور لي في رمضان الماضي ضمن مسلسل «قلب الذيب» وأدّيت فيه دور أمّ أحد من حملوا السلاح ضد الاستعمار الفرنسي، أعتقد أن العمل يقدّم إضافة لأنه يعترف بدور المرأة في الحركة الوطنية، وقد بحثتُ في هذه الذاكرة وأنا أشتغل على الدور.

■ هل أنت راضية عن إنتاجاتك ولماذا؟

لستُ راضية طبعاً. لا أشعر أنني أنجزتُ كل ما يمكنني إنجازه. لديّ شعور بأنني لم أؤدّ بعد الدور الذي أحلم به. لا يمنعني ذلك من الشعور برضا نسبيّ، فهذا الشعور مرتبط أيضاً بانطباعات الناس التي تكون في معظمها إيجابية. أطمح إلى الكثير من الأدوار، مثل تقمّص شخصيات من التاريخ التونسي. لا أحبّ اختصار رموز المرأة في تونس في اسمين أو ثلاثة. هناك الكثير من النساء المهمّات في تاريخنا.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد أي مسار كنت ستختارين؟

كنت سأختار المسرح. ليس من السهل أن تختار امرأة من جيلي ممارسة المسرح. علاقتي بالمسرح ليست عابرة أو مجرّد مهنة. إنها حياة، بدأت وأنا في السابعة من عمري، ولم تقبل الأسرة بهذا التوجّه في ما عدا والدي. في ذلك الزمن كان التمثيل يحمل في الذهنية العامة صورة أعمال سينمائية جماهيرية أبرزها الفيلم المصري «أبي فوق الشجرة»، ومن برد التمثيل تلاحقه توقّعات بأنه يشارك في أعمال مشابهة.

■ شخصية من الماضي تودّين لقاءها ولم هي بالذات؟

الكاهنة. كانت قائدة جيش ضخم، كانت حاضرة في الحرب وفي الحب، إنها تركيب عجيب بين المرأة القوية الصامدة والأنثى التي تحبّ أن تمارس حياتها بكل حرية وانطلاق.

■ صديق يخطر على بالك أو كتاب تعودين إليه دائماً؟

مرجعي في الفن والحياة هو أبي، وبالتالي أعتبره صديقاً بالمعنى العميق للكلمة، أن يجبّك شخص دون شروط وبكل عيوبك. وكما أشرت، كان وهو من شجّعني على المسرح وواجه معي صعوبات عدة.

> لا أحبّ اختصار رموز المرأة في تونس في اسمين أو ثلاثة

أنا أستاء من الشباب الذين لا يفكّرون إلا في العمل بالشهادة التي حصّلوها من الجامعة وينتظرون من الدولة أن تشغّلهم. أنا ضد من لا يفكّر ولا يبني ذاته ولا يبادر. بدون ذلك فنحن أمام إنسان ميّت لكنه يتنفّس.

دليلة مفتاحي في مسلسل «قلب الذيب» (الشرف ورغغي)

بطاقة

ممثلة ومخرجة مسرحية تونسية من مواليد 1960. من الأعمال التي أخرجتها: «النار تخلف الرماد» (2003)، و«دار حجر» (2004)، و«عطامرين» (2010)، و«ماذا لو مات ظلي» (2013)، و«قمرة 14» (2018)، و«عروسة البازار» (2019). كما شاركت كممثلة في عدة أعمال مسرحية وتلفزيونية وسينمائية. منها: «الدوّار» (1992)، وجاري يا حمودة (2004)، و«الكيوسك» (2006)، و«علي شوّرب» (2018 و2019)، و«قلب الذيب» (2020).

■ ماذا تسمعين الآن وهل هناك تجربة موسيقية أو غنائية تودّين أن تشاركك سماعها؟

أحب الإنشاد الصوفي، هناك تجارب عميقة جداً في الفن الصوفي، من تونس وفي بلاد كثيرة من العالم.

معرض

جوفاني باتيستا بيرانيزي غضبٌ يكفي لتصميم عالم جديد

روما قبل ثلاثمئة عام

مع عودة «المتحف البريطاني» لاستقبال زوّاره، أُعيد افتتاح المعرض الذي يحتفي بالفنان الإيطالي (1720-1778) بالتزامن مع مرور ثلاثمئة عام على ميلاده

لندن ـ ساندرا كرم

ملأت القصص الخيالية المستوحاة من الأساطير الرومانية والمعتقدات المسيحية نقوش جوفاني باتيستا بيرانيزي التي لا تزال مثبتة على جدران كنائس ومبانٍ تاريخية وسجون، لكنها تبدو خارجة عن زمنها بجرأتها وقدرتها على مزج عناصر لم يتصوّر أحد من قبل أنها قد تجتمع في تحفة فنية.

قدّم الفنان والنقّاش الإيطالي (1720-1778) نفسه كخبير آثاري متخصّص بأوابد الحضارة الرومانية وإعادة تأهيلها خلال القرن الثامن عشر، حيث امتلك معرفة استثنائية في أسس العمارة والتصميم الداخلي والفنون أهّلته إلى لأن يبتكر نماذج متكاملة للأبنية التي لا تزال أعماله باقية فيها لليوم. مع عودة «المتحف البريطاني» في لندن لاستقبال زوّاره بداية الشهر الجاري، أُعيد افتتاح معرض «رسومات بيرانيزي.. رؤى العصور القديمة»، الذي يتواصل حتى التاسع من الشهر المقبل بالتزامن مع مرور ثلاثمئة عام على ميلاد الفنان.

يضمّ المعرض حوالي مئتي نقش ورسومات لم تنل حظها من الانتشار مثل باقي أعماله الطباعية، منها لوحة لروما القديمة، وأخرى لمدينة بومبي التي اكتشفت أطلالها في زمنه، وعدد من المعالم الأثرية التي رسمها خلال تجواله الدائم بين أمكنة شكّلت شغفه وفضاء مهنته في آن.

من بين أبرز اللوحات المقدّمة سلسلة «السجون» التي اشتهر برسمه لمتاهاتها في تلك النماذج التي صُمّمت في العصور القديمة، وعنايته الفائقة بإبراز تفاصيل بنائها الأنيقة والجميلة وتوزيع الإضاءة على سلالمها الملتوية وممراتها الطويلة وسراديبها مضفياً عليها بعداً دراماتيكياً رومانسياً، في مفارقة مع وظيفتها الأزلية المتمثّلة بسلب حرية الإنسان.

> تظهر رسوماته على قطع تذكارية يحتفظ بها ملايين ممن زاروا روما

تعامل بيرانيزي مع الفن بوصفه الطريق الأساس لتغيير الذهنيات كما تلخّص ذلك مقولته «أحتاج إلى إنتاج أفكار رائعة، وأعتقد أنه إذا تم تكليفي بتصميم عالم جديد، سأكون غاضباً بما يكفي للقيام به». لم يشتهر بيرانيزي مثل فنانَين إيطاليين آخرين، غير أن رسوماته المطبوعة على قطع تذكارية يحتفظ بها ملايين الحجّاج والسيّاح والعلماء والفنانين الذين زاروا روما خلال ثلاثة قرون مضت. وقد كان الفنان الإيطالي متفطّناً إلى ما يبحث عنه زوّار روما من تذكارات، فأنجز الكثير من المطبوعات والنماذج الصغيرة وجعل منها مصدر دخل، حيث وضع منها سلاسل عديدة.

ورغم انحياز بيرانيزي المطلق للفن الروماني بسبب تطوّره ودقّته وإتقانه قياساً بالفنون المعاصرة له، إلا أنه تأثر بفنون أخرى تعكسها تصميماته لمدفأة مصرية، أو استعارته لزخارف يونانية في تزيين العديد من الجدران، ولعناصر مستوحاة من حضارات قامت في إيطاليا في عصور ما قبل الرومان.

يشير بيان المعرض إلى دور بيرانيزي كمرمّم أثري حيث قام بإصلاح أجزاء كنيسة دير القديسة ماري في مزرعة فرسان مالطا بالقرب من العاصمة الإيطالية، كما وضع تصميمات لترميم منابر كاتدرائية القديس يوحنا اللاتراني، لكنه لم يتمكّن من تنفيذها، ولديه العديد من الملاحظات والشروحات حول بناء وزخرفة عدد من المواقع الأثرية.

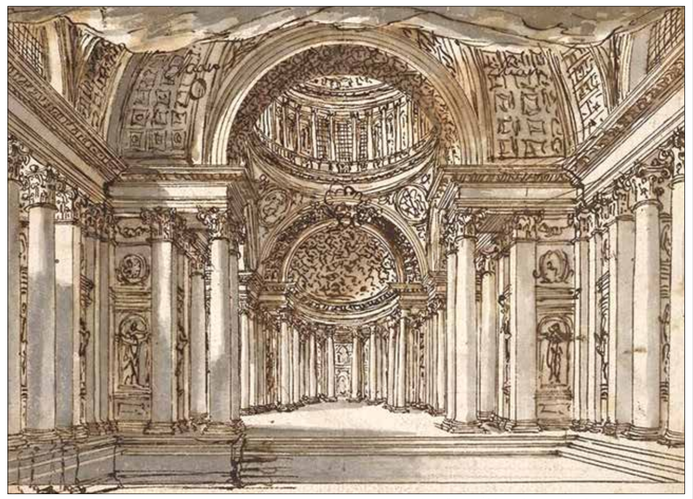

عمل لـ جوفاني باتيستا بيرانيزي، حبر بني وطباشير (من المعرض)

شذرات

مجتمع الفنانين اليوم بات أقرب إلى ما نراه في الفضاء العلمي. الفن هو ايضاً جماعة من المتخصّصين المنفصلين نسبياً عن بيئتهم الملاصقة والمرتبطين بعضهم مع بعض ضمن شبكة عملاقة من الغاليريهات والجامعات في العالم.
ناتالي هاينيك ـ (ناقدة فنية فرنسية) - «براديغم الفن المعاصر»

منذ قرابة ربع قرن وانا انضح داخل حقل المعرفة الموسيقية كشاعر. أُصغي للموسيقى واقرا عنها حتى لتبدو كتب الادب والفن والفكر فروعا واغصانا واوراقا من شجرتها. إلا الشعر فهو صنوها التوام. ولذا ارى ولهي الموسيقيّ وإحاطتي الموسيقية ثمرة طبيعية لهويّتي كشاعر.
فوزي كريم ـ «الفضائل الموسيقية»

لا نعرف العلوم التي يُنتج بها الاوروبيون النشرة الجوّية، لكن الفلاح كان يعرف كيف يدير حقله لياكل منه الناس، كان خبيراً في الارصاد الجوية على الرغم من كونه لا يعرف شيئاً عن خطوط الطول والعرض واسماء الكواكب.
فيستون موانجا موزيلا ـ (كاتب كونغولي) - من رواية «ترام 83»

ميزة الكاتب ان يحسّ اكثر ويكون على وجدان اكبر من قرائه، وهو لذلك يسير مع النهضات البشرية والقومية والذهنية، ويخترع لها الكلمات التي تعين الافكار و تساعد الشعب على الفهم، حتى يستمسك بالمبادئ، ويأخذ بالمناهج الجديدة.
سلامة موسى ـ «كتاب الثورات»